الباب الثالث

آثار ظاهرة أطفال الشوارع

النتائج المباشرة لهذه الظاهرة وهي:-

1- الإصابة بالأمراض لعدم وجود رعاية صحية كافية.
2- انتشار ظاهرة التسول كوسيلة لتحصيل المال.
3- تناول المخدرات والكحوليات والانحراف الكامل للسلوك.
4- زيادة معدل الجريمة بين هؤلاء الأطفال كالسرقة والقتل في بعض الأحيان.

انتشرت ظاهرة أطفال الشوارع في الفترة الأخيرة بصورة واضحة على مستوى العالم نتيجة للظروف الاقتصادية والاجتماعية المتغيرة، وتظهر عادة بصورة أكبر في البلاد النامية، وتتفشي في الأطفال من سن خمس سنوات وتظل ملازمة لهم في مراحل عمرية متقدمة، وتظهر هذه الأطفال في الأماكن النائية والمهجورة خصوصاً في فترة الليل، وغالباً ما يعيشون بداخل عصابات تعمل على تسريحهم وتشغيلهم في أعمال لا تليق بأعمارهم؛ لجلب الأموال، مما يعمل على محو طفولتهم وتحولهم لأشخاص ناقمين على المجتمع ككل وينقسم أطفال الشوارع إلى قسمين:

أطفال انفصلوا عن أسرهم ولجأوا للعمل والعيش في الشارع لأسباب اجتماعية بالدرجة الأولى، وهم فئة خطيرة جداً لعدم وجود كيان أسري.

الأطفال العاملين، وهم أطفال يعملون طوال النهار في الشوارع، ولا تربطهم أي صلة بعائلاتهم فالبيت للنوم فقط واليوم بأكمله للشارع، فلا يوجد أي مجال نهائياً للأسرة في حياتهم، وهو نوع من الأطفال أقل خطورة عن السابق.

ظاهرة أطفال الشوارع من الظواهر المنتشرة في المجتمعات المتقدمة والبدائية على السواء، وهي ظاهرة سلبية بكل تأكيد.

كيف تؤثر ظاهرة أطفال الشوارع على المجتمع سلبًا ؟

تعد مشكلة أطفال الشوارع مؤرقة للكثير من المجتمعات، فالطفولة مرحلة خطيرة جداً في حياة الإنسان، ففيها تتشكل ملامح شخصيته واتجاهاته في الحياة، ومنها ينطلق الإنسان إلى أبواب الحياة ليختار طريقاً خاصاً به وتبدأ المرحلة العمرية للطفولة من يوم الولادة حتى سن الخامسة عشر، وهي تلك المرحلة التي يجب على الآباء والمجتمع ككل الانتباه لها والاستعداد التام لاستيعابها بكافة مشاكلها؛ للمرور بهم بسلام، مع ضمان كافة الحقوق الإنسانية لهم مثل التعليم المناسب والعيش في سلام وجو أسري سليم، وعدم استغلالهم كطاقة بشرية في أعمال لا تتناسب مع طفولتهم والكثير من الحقوق التي يجب مراعاتها في التعامل معهم ولكن للأسف وكنتيجة للظروف الاقتصادية

والاجتماعية المتغيرة وجدت ظاهرة تسمى أطفال الشوارع وهي فئة من الأطفال حرمت من أبسط الحقوق الإنسانية التي يجب أن ينالوها من مسكن وملبس وغذاء وتعليم ظاهرة أطفال الشوارع قضية مهمة يعاني منها كافة المجتمعات والحكومات على مستوى العالم، وهذه الظاهرة بدأت في التفشي والانتشار في كل دول العالم بمعدل رهيب وتزايد مستمر، مع وجود حلول بطيئة من قبل الحكومات لحل المشكلة لا تتناسب مع سرعة نمو هذه الظاهرة، التي تعد وصمة عار فى جبين الحكومات التي طالما وعدت بالحلول دون أدنى تغيير فى الواقع، فهي ظاهرة مؤثرة بشكل واقعي ومباشر على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والأمنية، حيث تهدد أمن واستقرار الوطن.

المشكلات المترتبة على ظاهرة أطفال الشوارع

يتعرض أطفال الشوارع إلى العديد من المخاطر والمشكلات سواء على المستوى الأمني أم السلوكي أم الإنساني، ويمكن تقسيم المشكلات التي يتعرض لها أطفال الشوارع على النحو الآتي:

1- مشكلات أمنية:

عادة ما يكون أطفال الشوارع أو الأطفال العاملين في الشوارع بلا وازع ولا رقيب، ويختلطون بمن هم أكبر منهم سناً، وعلى ذلك يمكن أنْ

ينخرط هؤلاء الأطفال في شبكات العصابات المنظمة، وغالباً ما يعمل هؤلاء الأطفال في مجالات السرقة والدعارة وتجارة المخدرات، وتؤكد هذه الحقيقة كثير من الدراسات والأبحاث العلمية.

2- مشكلات اجتماعية:

يتعرض أطفال الشوارع والأطفال في الشوارع إلى العديد من المشكلات الاجتماعية لعلَّ أبرزها: تفشي الجهل والأمية والتخلف، وارتفاع نسبة البطالة بين البالغين.

3- مشكلات نفسية:

يرى كثير من الباحثين أنَّ انخراط الطفل المبكر في سوق العمل له آثار سيئة على الطفل وتتمثل هذه الآثار فى مشكلات نفسية كثيرة أبرزها: سوء التكيف والانحراف، إذ أنَّ الطفل في مثل هذه السن لا يعد مهيئاً نفسياً وجسمياً لمزاولة كثير من الأعمال نظراً لما يتميز به في هذه المرحلة العمرية من عدم اكتمال النمو العام للجسم وما يصاحبها من أزمات وانفعالات نفسية كبرى، بالإضافة إلى أنَّ الطفل في مثل هذا العمر لا يكون نموه بمستوى يؤهله للانضمام إلى سوق العمل وإنجاز كثير من الأعمال التي تتطلب طاقات جسمية أو فكرية معينة، فضلاً عن هذا فإنه

لا يكون مستعداً للتكيف مع مجتمع الكبار لذا ونتيجة لهذه العوامل كلها يتعرض الطفل إلى إحباطات وانحرافات خطيرة على سلوكه ومستقبله.

4- مشكلات صحية:

أنَّ الشارع وإنْ كان يوفر الحد الأدنى من الغذاء لبقاء الطفل لكنه لا يوفر للطفل الاحتياجات الغذائية الأساسية التي يتطلبها جسمه في هذه المرحلة من العمر التي تتطلب وجبات غذاائية تتناسب مع نموه إضافة إلى تعرضه للإصابة بكثير من الأمراض الخطيرة مثل: التيفود، والجرب، وأمراض العيون، وأمراض الصدر.

كما توجد مشكلات أخرى ومنها الممارسات الشاذة لأطفال الشوارع :-

1- شم الكله والتنر والبنزين:- كثير من أطفال الشوارع يشمون الكلة التي تؤثر على وعيهم وتفكيرهم كما يشمون أيضا التنروالبنزين بسبب رخص أسعارهم بصورة جماعية تجعلهم يفقدون القدرة على الإدراك الحسي والتفكير .

2-الشذوذ الجنسي بين الأطفال:- أطفال الشوارع ينامون ملتصقين بجوار بعضهم البعض للحصول على الدفء من برد الليل مما يولد لديهم

شعور باللذة في ممارسات جنسية شاذة تستمر يومياً حتى يتعود كل منهما عليها .

3-الاغتصاب الجنسي لأطفال الشوارع :- وعادة ما يتم هذا الاغتصاب من خلال عمل الطفل مع المعلمين الكبار في الشوارع أو الورش حيث يستغل الكبار المنحرفين الأطفال ويغتصبونهم تحت التهديد .

4- الشذوذ بين الأطفال الكبار والرجال :- يستغل الرجال الشواذ جنسيا ظروف أطفال الشوارع الكبار العاطلين عن العمل بإغرائهم مادياً حتى يمارس الشذوذ معه بأجر .

5- المعلمين صائدي الصبية : يقوم بعض المعلمين باستغلال بعض الصبية وإغرائهم بالمال لسرقة الأشخاص والمحلات وتوزيع المخدرات وتسليم المسروقات إلى من يتولون تصريفها مقابل مبالغ زهيدة للأطفال أو حتى مقابل إيوائهم وإطعامهم .

السمات العامة لأطفال الشوارع

1) الشغب والعند والميل للعدوان : يرى الكثير من الباحثين أن معظم أطفال الشوارع لديهم نوع من العدوان نتيجة الإحباط النفسي الذي يصيب الطفل جراء فقدانه الحب داخل أسرته، ويزداد الميل إلى العدوان

مع ازدياد المدة التي يقضيها الطفل في الشارع، حيث يتعلم من الحياة في الشارع أن العنف هو لغة الحياة ، بالإضافة إلى ان أطفال الشوارع يمارسون العنف نحو بعضهم البعض.

2) الانفعال الشديد والغيرة الشديدة: فالحياة في نظر طفل الشارع هي لعب وأخذ فقط دون الاهتمام بالمستقبل، وهما الشيئان اللذان فشل في الحصول عليهما من أسرته التي دفعته إلى الشارع رغماً عنه.

3) التمثيل: أطفال الشوارع تعودوا على التمثيل، لأنه من ناحية إحدى وسائلهم الدفاعية ضد أي خطر يواجههم، أو حين يقبض عليهم، كما أنه يستخدم من قِبل أطفال الشوارع للإضرار بأطفال آخرين باتهامهم كذباً بسلوك أو فعل أشياء معينة لم يفعلها هؤلاء الأطفال.

4) التشتت العاطفي: ويتمثل لدى أطفال الشوارع من خلال كثرة البكاء والطلبات الكثيرة، وغير المحددة وعدم الكف عن البكاء حتى لو أقنعتهم عدة مرات باستحالة تلبية مطالبهم.

5) عدم التركيز: مستوى أطفال الشوارع الدراسي ضعيف جداً، فمنهم من لم يلتحق بالتعليم ومنهم من تسرب من الدراسة مبكراً كما أنهم لا يستطيعون التركيز على أي حديث قد يكون طويلاً.

6) ليس لديه مبدأ الصواب والخطأ: طفل الشارع بهروبه من المنزل حطم نسبياً الضبط الخارجي عليه، المتمثل في رب الأسرة، الذي كان يوجهه، ولأن أسلوب الضبط الخارجي كان يمارس من الأب أو من عائل الأسرة بعد الوالدين بدرجة كبيرة من التسلط على الطفل فكان نتيجة هذا أن الأب قد سلب من الطفل عنصر الضبط الداخلي الذي يتولد من خبرة الطفل الذاتية في ممارسة حياته.

7) حب التملك والمساواة مع الآخرين.

8) حب ألعاب الحركة والقوة.

9) بالإضافة إلي الممارسات الشاذة لأطفال الشوارع مثل: شم (الكلة) والبنزين والشذوذ الجنسي بين الأطفال والاغتصاب لأطفال الشوارع.

10) القيم المتناقضة :- يحمل هؤلاء الأطفال قيما متناقضة يغلب عليها المرح أحياناً والعنف أحياناً أخرى وأيضاً يغلب الكذب وغيرة .

<u>المناطق العشوائية بؤر لأطفال الشوارع42</u>

هذه الظاهرة أشاعت الفوضى في بلدان الربيع العربي بعد أن انفجرت فيها ثورات الغضب واحدة تلو الأخرى، حيث وجد هؤلاء الأطفال في مناخ الثورات تربة خصبة لانتشار أفعالهم الصبيانية غير المحسوبة

حتى أصبحت ظاهرة ضد القانون واتخذ أدباء الغرب والعرب من هذه الظاهرة مادة ثرية لأعمالهم الأدبية، مؤكدين أن هناك علاقة وطيدة لا تنقطع بين الأدب والمجتمع.

ويعد الكاتب الإنكليزي تشارلز ديكنز من أوائل الكُتَّاب الذين رصدوا هذه الظاهرة، ولفتوا الأنظار إليها.. ففي عام 1837 بدأ ديكنز كتابة رواية أوليفر تويست، وهي أول رواية يصور فيها ديكنز الشرور الاجتماعية والظروف الرهيبة في الملاجئ والإصلاحيات، والرواية تصور عالم لندن الإجرامي الخفي على نحو حي، موضحاً كيف يدخل أطفال الشوارع بسهولة بالغة عالم الجريمة تحت تأثير الكبار الذين يستغلونهم لمصلحتهم الشخصية.

وأوليفر تويست بطل الرواية طفل عمره 9 سنوات يعيش في هذا العالم فريسة للعذاب والجوع، يزدريه الناس بعد أن ماتت أمه، وهي تضعه، تربى في دار خيرية، كان من المفترض أنها توفر المأوى والغذاء لمن يلجأ إليها، ولكن ما وفرته لذلك الطفل هو ألوان من العذاب، والجوع والقهر، حيث عانى من ازدواج مجلس الإدارة المكون من عشرة أشخاص يتوسطهم رجل أضخم منهم تنبأ بأن أوليفر ستكون خاتمته حبل المشنقة لمجرد أنه تجرأ وطلب قدراً آخر من الحساء هذا الفصام الاجتماعي هو الذي دفع به إلى الشارع.

ووصفت إحدى المشرفات على برامج إغاثة أطفال الشوارع في المكسيك مسرحية من الشارع لدافيلا، بأنها محاولة شجاعة لتسليط الأضواء على شريحة مهمة من المجتمع، كذلك الكاتبة الألمانية كورنيليافونكه في روايتها إله اللصوص، وحكاية أطفال شوارع مدينة البندقية والكاتبة المصرية سامية خضر في مجموعتها القصصية حوار لن يعلن أبدا، وقصتها سقط ولم يعد.

وما كتبه الروائي السوداني منصور الصويم عن أطفال الشوارع في رواية ذاكرة شرير، ومرثية أطفال الشوارع للشاعر المغربي ابن يونس ماجن بعنوان هم الآن يكنسون الرذاذ، فهو يرى التسول والتسكع توأمين سياحيين يسكنان بذاكرة الشوارع، أما الفقر والجهل فهما رفيقان في العوز والعتمة ويتعرف قارئ رواية تغريد البجعة للأديب سعيد مكاوي، ورواية مواقيت الصمت للأديب خليل الجيزاوي على ملامح أولئك المهمشين المنسيين من أبناء الفقر والصمت.

آن الأوان أن نزيح اللثام عن مشكلات وإفرازات بعض الأسر المتدنية المعيشة والثقافة والاقتصاد التي غالبا ما يكون الإنجاب لديها دون تخطيط، وتحاول أن تجد حلاً لهذه المشكلات الكبيرة.

بدأت المشكلة بالقبض، على سفاح أطفال الشوارع الذي عرف بالتوربيني، ثم توالت الإشكاليات، فظهر مجرم آخر في مكان آخر، وأكثر من توربيني اتهم بتعذيب الأطفال الصغار وقتلهم، والتخلص منهم، وظهرت عيادات تتاجر بأعضاء من أجساد أطفال الشوارع؛ حيث تحول طفل الشارع إلى قطع غيار بشرية بالإضافة إلى ما قامت به الشرطة من فتح ملفات ضخمة لعصابات محلية، ودولية تقوم بالاتجار فى الأطفال من خلال الترحيل والنقل، والتزوير إلى عدة دول إنها مأساة عصر صعب طفل الشارع نتاج فقر وبؤس وتفكك ورفض عائلي وتسرب من التعليم وعمالة أطفال وعنف وزيادة سكانية يرتفع فيها معدل الإعالة طفل الشارع يفرز أيضا عدة أمراض اجتماعية، مثل الإدمان والاتجار فى المخدرات، والعلاقات الجنسية الجماعية، والسرقة والجريمة التي تصل إلى حدّ القتل والتعذيب.

أطفال الشوارع مشكلة كبرت وترعرعت على الأرصفة أو في الحدائق العامة أو مواسير المياه أو داخل الخرابات والعشوائيات، مما يؤكد أن أجيالاً أخرى ظهرت واستمرت، وكونت عدة جماعات تستغل من قبل العصابات والمطاردين والخارجين عن القانون إن لم يكن بعضهم قد تحول إلى فئة خطيرة.

يجب على الجامعات وعلماء الاجتماع والحقوق والنفس والدراما والإعلام والطب والشرطة والتضامن الاجتماعي، والجمعيات الأهلية محاصرتها بالدراسة والتفحص، والعلاج بعد أن تفاقمت المشكلة وأصبحت عمالة الأطفال وحدها تكلف بعض الدول أكثر من عشرة مليارات جنيه سنويا،إذا أدركنا ذلك عرفنا فداحة مشكلة أطفال الشوارع، فالإحصائيات تؤكد زيادة حجم الجنح المتصلة بتعرض أطفال الشوارع لانتهاك القانون، فالسرقة تمثل نسبة 56 بالمئة، والتشرد 5.16 بالمئة، وعدد أطفال الشوارع تبعاً لخبراء المجتمع المدني فى مدينة كالقاهرة لا يقل عن 3 ملايين طفل وتضم مدينة القاهرة، خاصة وسط البلد وحدها 31.6 بالمئة منهم تليها بورسعيد 16.8 بالمئة وتعتبر المناطق العشوائية بؤراً لكثير من الأمراض الاجتماعية ويتوقع تقرير التنمية البشرية ارتفاع نسبة الفقر من 4.6 بالمئة في عام 2005 إلى 6.7 بالمئة عام 2015؛ بسبب تزايد المناطق العشوائية.

نحن نعيش اليوم في عالم هيمنت عليه قوى الشر عبر وسائل الاتصالات، وتمكنت من خلق إعاقات تسمح للعنف بالنمو في أحشائه، وفي هذا العالم 130 مليون طفل ليست لديهم أسر ينعمون بدفء عواطفها، بل يعيشون في ظروف خطيرة والاستغلال السيِّئ يبطش بـ

100 مليون منهم، و13مليونا تخطفهم المنايا سنوياً بسبب سوء التغذية، والأدهى والأمر أن مليون طفل أرغموا على العمل فى الدعارة.

هذه الأرقام المرعبة نشرتها منظمة اليونيسيف، مؤكدة أن الذكور يمثلون 75 بالمئة من هؤلاء الأطفال المشردين في الشوارع، وأن معظمهم تتراوح أعمارهم ما بين 10 إلى 15 سنة.